

استخدام الوسائط الجديدة وإشكالية بناء الهوية الافتراضية

The use of new media and the problematic of virtual identity building

1-أ. ناسلية رباعي* / 2- إشراف: أ.د. رضوان بوجمعة

2&1- كلية علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر 3

تاريخ إرسال المقال: 2018/10/22 تاريخ القبول: 2019/11/10 تاريخ النشر: 16 فيفري 2020

الملخص

يرتبط ويتشابك اليوم العالمان الواقعي والافتراضي ليشكلان معا النسيج الاتصالي الذي يحرك مجتمعاتنا، فتطور التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال وتغلغلها في مختلف مجالات الحياة نتج عنه الاستخدام المكثف لهذه الوسائط الاتصالية وأصبحت علاقة المستخدم بالآلة تطرح انشغالات عديدة في مجال العلوم الانسانية وبالتحديد علوم الإعلام والاتصال. هذه النقطة في الممارسات الفردية التي تستمد معناها من الوعي بالذات والتميز الفردي عن الآخرين داخل هذا النوع من الفضاءات جعلت هوية الفرد المستخدم محل سؤال وبحث لدينا باعتبار أنه بمجرد الدخول إلى المجتمعات الرقمية تنمي خصائص الحضور المادي للمستخدم ويصبح يعرف من خلال اسم الحساب أو البريد الالكتروني أو الصورة وغيرها من المعلومات التي يقدمها على الخط والتي قد تعكس أو لا تعكس هويته الواقعية.

من هنا سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية مقارنة الوسائط الجديدة بين الحفاظ على الهوية الحقيقية وتشكيل (بناء) هوية افتراضية حقيقية أو مزيفة.

الكلمات المفتاحية: المستخدم-الاستخدام-الوسائط الجديدة-الهوية الافتراضية-تقديم الذات .

Abstract

Today, the real and virtual worlds are correlated to form the communication fabric that drives our societies. The development of new information and communication technologies in various fields of life has led to the intensive use of these communicative media and the user's relationship with the machine has become a subject of many concerns in the field of human sciences and Information and Communication streams.

This shift in individual practices that derive their meaning from self-awareness and individual excellence from others within this type of space has made the identity of the individual being the subject of research. Just after entering the digital communities, the characteristics of the physical presence of the user will be suppressed and this latter (the user) will be referred to through his name, his e-mail, his photo or any other Information provided online which can reflect his real identity as it can not. From this point, we will try to elaborate an approach in which we study the new media between maintaining the true identity and forming a false virtual identity.

Keywords: User- Use- New Media- Virtual Identity- Self Presentation.

*- الباحث المرسل: nassiliarabahi2@gmail.com

مقدمة

استطاعت وسائل الاتصال بتطوراتها المذهلة أن تحدث تغييرات جوهرية في حياة الانسان وفي مختلف المجالات، محدثة ظواهر جديدة باتت اليوم محل اهتمام الباحثين محاولين فهم مختلف جوانبها وأساس بروزها.

وقد رافق هذه التطورات التقنية تغيير في أنماط الممارسات الاتصالية ونماذجها التي أصبحت تشهد اليوم تحول من حيث الانتقال من حشد إلى فرد (مستخدم/ User)، من جمود إلى نشاط (Active) ومن العرض (Spectacle) إلى الاتصال (Communication)، حيث أعيد النظر في نمط العلاقة التفاعلية القائمة بين الانسان المستخدم والآلة وأصبح الانشغال منصب على الدور الذي يلعبه هذا المستخدم (user) من خلال هذه التقنيات، بدل الاهتمام بالآثار التي تحدثها هذه الأخيرة في حياتهم اليومية. بمعنى آخر، التركيز على نشاط -فعل- المستخدم باعتباره عنصرا مبتكرا في علاقته بالأدوات التقنية والوسائط الجديدة وتحليل مختلف الظواهر السوسيو-تقنية المترتبة عن التطور المتسارع لتكنولوجيات الإعلام والاتصال. الأمر الذي أدى بنا إلى التساؤل حول مسألة الهوية خاصة مع بروز العالم الافتراضي (Virtual World) كعامل أساسي ساهم في خلق مجتمعات افتراضية (شبكة) (Virtual Societies) يميزها الجمهور النشط والفعال (Active Audience).

وعلى هذا الأساس فإن الاشكال الذي يتناوله هذا البحث يشمل عملية بناء الهوية التي ساهم الاتصال الرقمي في تغيير ملامحها وإعطائها طابعا افتراضيا خال من القيود، بحيث سنحاول تقديم قراءة نظرية لمحتويات مفاهيم بحثنا هذا سعيا لوضع الباحث المهتم بمجال استخدامات وسائل الإعلام والاتصال وخاصة الوسائط الجديدة في صلب الموضوع واثارة المزيد من النقاش لمحاولة الإجابة على الرهانات التي تطرحها التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال (NICT).

- الاستخدام الاجتماعي للتكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال (NICT)

نشأت مقارنة سوسيولوجية الاستخدامات في حقل البحوث المتعلقة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال TIC، وكأنها الطريقة الأكثر شرعية والأكثر خصوصية وثناء لصياغة العلاقة بين وسائل الاتصال والممارسات الاجتماعية، حيث هذا الانعطاف يؤسس حسب Josiane Jouet أهم سمات البحث المتعلق بوسائل الاتصال (Jouet 2000)، حيث نجد تكرار كبير لمصطلح "الاستخدام" و"المستخدمين" في عناوين المراجع التي نشرت في بداية الثمانينيات إلى غاي السنوات الأخيرة من الألفية الجديدة.

لكن رغم هذا الثراء والتنوع إلا أننا لمسنا أن كل من Josiane Jouet, Pierre Chambat Serge Proulx هم من أهم الرواد المؤرخين والمنظرين لسوسيولوجيا الاستخدامات، حيث يركزون على ميزة تعدد وتنوع الإشكاليات في هذا التيار، والاعتراف المؤسسي لها والتنوع في البحوث التي تشملها.

يؤكد Pierre Chambat في هذا السياق أن سوسيولوجيا الاستخدامات لا تظهر في الأصل كتيار متجانس ومهيكل، ولا يشكل تخصص فرعي معروف في علم الاجتماع (Chambat, 1994, p252)، حيث أن الدراسات التي تنتمي إلى هذا الحقل تنتمي إلى سوسيولوجيا تقنيات الاتصال وأنماط الحياة، وهذا ما صرحت به Josiane Jouet التي أشارت إلى أن سوسيولوجيا الاستخدام نشأت عن فيض من تراكيب فكرية وتقاليدي تصويرية (Jouet 2000, p 493)، إضافة إلى ضعف عدد الباحثين في هذا المجال والذي يعود إلى غموض أصوله.

كما نجد أن مفهوم الاستخدام له معان كثيرة تختلف حسب العلاقة الموجودة بين ما هو تقني وما هو اجتماعي (chambat, 1994, p 249)، فهو محل اختيار لمقاربات سوسيولوجية عديدة وهذا راجع إلى الطبيعة المتعددة لهذا المفهوم، وقدرته على بلورة الاختلافات أكثر من إبرازه لتيار معين، بالتالي نجد أن مسألة الاستخدام تحتل مكانة هامة في ميدان سوسيولوجيا تقنيات الاتصال كما نجد أن المحتوى والحالة النظرية للمفهوم هما بعيدان كل البعد عن التوافق، فلا جدوى من الادعاء بإعطاء تعريف ثابت ودقيق لهذا المفهوم لأن معناه ناتج عن خيارات نظرية، فهو يساهم بالفعل في النقاش باعتباره يشكل نقطة ارتكاز للتحليل ومع ذلك فبإمكان مفهوم الاستخدام أن يكون فرصة لمواجهات بين مختلف الاختصاصات التي تنتمي إلى حقل الاتصال (chambat, 1994, p 263). بالتالي فإن أهم مميزات سوسيولوجيا الاستخدامات تتمثل في لفت انتباه الباحثين للمكانة التي تحتلها التقنية والتكنولوجيا في التغير الاجتماعي من خلال إبراز أهم القضايا السوسيو-تقنية من جهة، والاعتراف من جهة أخرى بالاستقلالية النسبية التي يتميز بها المستخدم في علاقته بالتقنية، وهذا ما توصلت إليه أغلب الأبحاث والدراسات المنجزة في هذا الاتجاه خاصة في الآونة الأخيرة، والتي استمدت قوتها بإظهار الجزء الفعال للوسائط الاتصالية الجديدة في التغير الاجتماعي والمشاركة في صيانة أو نقل السلوكات الاجتماعية، وتداخل الهويات الفردية والجماعية من خلال تملك تلك التقنيات، باعتبار أن فهم الجهاز التقني يعود إلى فهم كيفية تنظيم وتشكيل نسيج مختلف من العلاقات من مختلف الأنواع، والتي نحن عالقون فيها ونتحدّد داخلها (Krich, 1990, p 84). وأخيرا حتى لا نركز على المبادئ الأساسية المكونة للقاعدة الابستمولوجية لسوسيولوجيا الاستخدامات فإننا سنحاول أن نعالج مسألة استخدام الوسائط الجديدة من خلال التركيز على الوساطة المزدوجة القائمة بين التقنية الاتصالية والمستخدم، وبالتحديد مسألة تشكيل الهوية الرقمية لدى مستخدمي المواقع والوسائط المختلفة والتي أعطت طابعا جديدا للهويات الحقيقة الوجودية التي تنطوي على عوامل وجودها ومختلف المعايير والسمات التي يعرف بها الفرد ويعرّف نفسه في علاقته مع الآخرين في عالم الحياة اليومية الواقعية.

على الرغم من حداثة مفهوم الهوية، إلا أن بعض علماء اللغة العربية قد عرفوا معنى الهوية وقدموا تعريفا لها، فقد ذكر أبو الحسن الجرجاني أن الهوية "هي تلك الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتغال النواة على الشجرة في الغيب المطلق" (الجرجاني، ص 140).

تعرف الهوية على أنها "ثوابت الشيء التي لا تتجدد ولا تتغير، فهي كالبصمة بالنسبة للإنسان يتميز بها عن غيره، وتتجدد فاعليتها، ويتجلى وجهها كلما أزيلت من فوقها طوارئ الطمس والحجب، دون أن تخلي مكانها لغيرها من البصمات" (عمارة، 1999، ص 6)، حيث تستعمل كلمة هوية في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى Identity، التي تعبر عن خاصية "المطابقة" أو مطابقة الشيء لنفسه، أو لمثيله. وفي المعاجم المعاصرة فهي لا تخرج عن هذا المضمون باعتبارها حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدة الذات. يرى Deng أن الهوية هي التي يستخدمها الأفراد والجماعات في تعريف أنفسهم وذلك على أساس العرق والدين واللغة والثقافة التي ينتمون إليه (Deng, 1995, p 1)، ويشير Bloom بأنها الطرق التي تميز الأفراد والجماعات في علاقاتهم مع الآخرين (Bloom, 1991, p 4)، ويذهب Katzenstein إلى القول بأن مصطلح الهوية يعني مجموع المراجع التي تشكلت من خلال تطوير الصور الذاتية للفرد (Katzenstein, 1996, p 59) باعتبارها تدمج بين مختلف الأدوار، الصور والمواقف الداخلية للإنسان. على ضوء ذلك، نلاحظ أن مفهوم الهوية غامض، معقد ومتشعب المداخل، تتفاعل داخله حقول معرفية عدة، وهذا ما أشار إليه Hall الذي أوضح بأن مسألة الهوية "هي نوع من أنواع الفضاءات غير المستقرة، أو مسألة لم تحل بعد،... فهناك من يعتقد بأن الهوية هي نقطة ثابتة من الفكر والكيان، قاعدة أساسية ومنطق الذات الحقيقية،... لكن الهوية هي في الحقيقة عبارة عن سيروية تتفرع إلى أقسام عديدة، الهوية ليست نقطة ثابتة لكنها نقطة ذات عدة أوجه، الهوية هي أيضا علاقة الآخرين مع الذات" (Hall, 1989).

فيمكننا أن نستنتج من خلال ما جاء به الباحثين في هذا المجال أن الهوية هي مجموع الصراعات القائمة بين ديناميات الأنا والآخر، الوحدة والتعدد، التطابق والاختلاف، حيث شكل مفهوم الهوية في الآونة الأخيرة إشكالية غير قابلة للتجاوز في مختلف المجالات خاصة مع التطور التكنولوجي والاستخدام المتزايد للوسائط الجديدة والتي أحدثت قفزة نوعية وحقيقية في طبيعة التواصل والتفاعل بين الأفراد المستخدمين، باعتبار أنها وفرت لهم فضاءً افتراضياً مرئياً وملائماً للتعرف وتبادل الآراء والأفكار والتوجهات، لتشكيل مجوعات أو بالأحرى مجتمعات افتراضية لها اهتمامات وميولات محددة.

-الوسائط الجديدة ومسألة الوجود الافتراضي في المجتمع الشبكي

« The virtual society is a result of, and exists by, the grace of tele-technology. In this society new communication behavior with respect to technology developed (techno-sociology), creating needs for extra or different technical possibilities, which subsequently create new expectations of "the technology". The different ways of communicating, gathering and spreading information, and concluding transactions in the virtual society results in different user demands on communication devices, geared towards multiple identities, parallel relationships and alternative. » (Jacob Van Kokswijk, 2007, p82)

مع ظهور الانترنت وانتشار استخدامها في مختلف مجالات الحياة اليومية، برز نوع جديد من المجتمعات البشرية والتي تسمى بالمجتمعات الافتراضية أو الالكترونية أو الرقمية، بحيث تتماثل هذه المجتمعات مع المجتمعات الواقعية في تفاعل الأفراد فيما بينهم وتبادل آرائهم ومشاعرهم واحتياجاتهم بينما يختلفان فقط في عنصر المكان أو الوجود المادي للأفراد. كما نشير أيضا أن تغلغل هذه الوسائط ساهم في تقليص العالم وتقارب الأماكن حيث تجسدت القرية الكونية التي تنبأ بها McLuhan والمتولدة عن زوال المكان واختصار الزمن.

كما استطاعت الانترنت فعلا أن تدخل العالم ضمن العالم الواحد من خلال التفاعلات على الخط، والثقافة الرقمية، والمجتمعات الافتراضية، والمنتديات على الخط، والتعلم الاجتماعي... والكثير من العناصر المشتركة التي جعلت الفرد الإنساني ينتهي إلى العالمية ويصبح عضواً فاعلاً في المجتمع العالمي مع أصدقائه العالميين، الذي بات يجمعه وإياهم الكثير من القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والعاطفية... مساهمة في إدماج الفرد في نطاقه العالمي والكوني (منصوري 2014، ص 73).

فقد أصبح مفهوم المجتمع الشبكي اليوم من المفاهيم الرائدة والأساسية التي كان لعالم الاجتماع الإسباني المعاصر M. Castells الفضل في ولادته وتأسيس نظريته، حيث يرى بأن هذا المجتمع المعلوماتي الشبكي هو مظهرها لهيكل اجتماعية من نوع جديد (الرزو، 2007، ص 243)، كما يضيف في تحليله بأن المجتمع المعلوماتي يركز على النسق الشبكاتي بوصفه الأساس الذي تستند إليه مقومات عملية الاتصال السائدة في المجتمع الجديد، إذ تشكل عناصرها المادة التي يتألف منها بناؤه الرقمي، وبصورة عامة يركز مفهوم الشبكة على نسق يضم مجموعة من الخطوط المتشابكة ضمن هيكل محددة، ويطلق على نقاط التشابك اصطلاحاً بالعقد الشبكاتية حيث تساهم هذه العقد في تغيير اتجاه الاتصال داخل حدود الشبكة، كما يقوم البعض الآخر منها بدور الحدود الفاصلة بين نسق شبكاتي وآخر، فيهيمن على نقاط الاتصال مع المحيط الخارجي بمختلف أنماطه.

إن احتواء الفضاء المعلوماتي لجل النسيج الكوني، وبجميع تفاصيله التكوينية قد أفرز مفهوم الشبكات الاجتماعية التي تسري خلالها كافة أنماط الاتصال بين أفراد الأسر، والكيانات الاجتماعية الموجودة في المجتمع الرقمي الحديث (الرزو، 2007، ص 244)، حيث غزت الشبكات الاجتماعية العالم بأسره ووصلت تداعياتها إلى المنطقة العربية، ونالت اهتماما واضحا، وتدافقا هائلا للشباب من حيث انتمائهم لمجتمعها لا المتناهي، ونظرا لما تمثله هذه الشبكات من مجتمع افتراضي جديد تلاشت فيه الحدود وزالت منه القيود، وشكلت في نفس الوقت ظاهرة فريدة من نوعها، فقد عبرت عن كل أشكال الإعلام التقليدي، ونشرته في صورة تقنية حديثة. وكان لها الحظ الأوفر في انتماء الشباب لها. إذن، هي نمط اتصالي جديد يعتمد على تقنيات متطورة جدا، بدأت مع الجيل الثاني من الانترنت، والذي يهدف إلى ابتكار وسيلة جديدة لبناء عوالم اجتماعية افتراضية على كافة المستويات المحلية والإقليمية والدولية، فهي بمثابة ملتقى حضاري، ومنتدى ثقافي، وإعلامي، وسياسي، وسوق تجاري، واقتصادي وإعلاني وغيرها، فهي مجموعات متنوعة شاملة لكل ما يتعلق بالمجتمعات الحقيقية وما يدور فيها (كنعان، 2015، ص ص 109-110).

ومن هذا المنظور، يعد مفهوم الشبكات الاجتماعية مفهوم قديم عرف في علم الاجتماع إلا أنه استعير للدلالة على ظاهرة اتصالية اجتماعية جديدة. ومن هنا يذهب بعض الباحثين إلى إضافة بعض الكلمات للدلالة على هذا النوع من المواقع، بحيث أصبحت عبارات مثل الشبكات الاجتماعية على الانترنت، أو مواقع الشبكات الاجتماعية Social Sites Network تستخدم للدلالة على هذه الظاهرة الاتصالية الجديدة. كما عرفت الشبكة الاجتماعية بأنها عبارة عن "بناء مركب من عدة عوامل مرتبطة بسلسلة أو سلاسل من العلاقات" (Choquette & Parmier, 2011, p11)، منحت المستخدمين إمكانية تعزيز مكانتهم عبر أدوات الموقع، للتواصل مع أشخاص آخرين والتعريف بذواتهم في هذا الفضاء الافتراضي وإنشاء روابط تواصل مع الآخرين (Boyd & Ellison, 2007, p 212).

غير أن عنصر الوجود في ظل هذا الفضاء الجديد الذي خلفته التطورات التكنولوجية وانتشار استخدام الانترنت في مختلف جوانب الحياة اليومية، اتخذ اليوم شكلا آخرًا يتوافق مع خصائص البسطة الرقمية التي تتميز بالانفتاح واللاقيود، باعتبار أن الواقع الفعلي الواقعي للأفراد يتجلى من خلال وجوده المادي الحقيقي في الحياة اليومية كعنصر حاضر فيزيقيا وكائن فاعل مميز بذاته عن الآخر في ضوء نظام اجتماعي يوجه سلوكه حسب ضوابط ومعايير معينة، لكن اليوم أصبحنا نتحدث عن الانسان أ المستخدم المشبك، الافتراضي، الرقمي الذي انتقل من عالم الواقع إلى العالم الافتراضي، بفضل الوسائط الجديدة New Media التي جمعت بين وسائل الإعلام القديمة Old Media والوسائل الاتصالية الجديدة New Media لتجمع بذلك بين الكلمة والصورة والصوت

وتصبح في الأخير جزءا لا يتجزأ من الممارسات اليومية للإنسان المستخدم User. حيث يقول الباحث "رحومة محمد علي" في هذا الصدد أن الظاهرة الاجتماعية قد انتقلت بمختلف جوانب تمثلاتها الثقافية، التقنية، السلوكية، الاقتصادية، السياسية، القانونية... من أنها فقط تتمثل طبيعيا في المجتمع البشري الطبيعي إلى أن تتمثل أيضا صناعيا رمزيا، رقميا، أليا وأيضاً بمختلف جوانب تمثلاتها الأصلية، إلا أنها أصبحت في شكلها الإلكتروني المصنع من الذرة إلى إلكترون، إن الحياة الاجتماعية بهذا المعطى الجديد هي حياة رقمية على الانترنت في الفضاء المصنع، الأمر الذي يفرض على علم الاجتماع أن يتسع قليلا أو كثيرا ليشمل بحثه المجتمع البشري الإلكتروني (رحومة، 2005، ص 25).

انطلاقاً من فكرة الوجود الافتراضي "غير المادي" للأفراد المستخدمين، تتضح لنا أهمية الهوية الافتراضية داخل المجتمعات المشبكة الجديدة باعتبارها الرهان الحقيقي الذي علينا الانشغال عليه من خلال البحث في خصائص الوجود الافتراضي في هذا الفضاء الذي يتخذ شكلاً مغايراً عن الحياة الواقعية، بحيث حاولنا من خلال بحثنا تحديد أهم هذه الخصائص والتي سندرجها في النقاط الآتية :

- الفاعل المستخدم User في المجتمع الافتراضي Virtual Society يعتبر ذات افتراضية رقمية، باعتبار أنه مبرمج أليا لا جسد له كونه مركب رقمي، يتخذ شكل أيقوني Avatar يتجسد في صورة أو رموز تعبر عن هويته التي ستصبح بدورها هي الأداة التي تسمح له بالتفاعل والتواصل داخل هذا الفضاء الافتراضي.
- الحضور المادي للأفراد المستخدمين ليس مفروضا بل مستغني عنه للتواصل والتفاعل، باعتبار أن الوجود الافتراضي في المجتمع الشبكي مرتبط بوجود المستخدمين على-الخط Online.
- وجود المستخدم مرتبط بمختلف النشاطات التي يقوم بها على الخط أو في الفضاء الافتراضي باعتباره ساكن الشبكة Netizen، وذلك من خلال الآثار الرقمية الالكترونية التي تخلفها عملية استخدام مختلف الوسائط الجديدة، والتواصل من خلالها مثل: الدردشة، التعليق، النشر، الإعجاب، المشاركة...إلخ.
- لا يمكن لأي فرد أن يتواجد في الفضاء الافتراضي إلا بعد اجتيازه لبعض الخطوات الالكترونية، كإنشاء حساب خاص به، إضافة إلى عنصر التحكم في الوسيلة أو التقنية وتملكها وهذا لضمان فعالية اندماجه في هذا الفضاء.
- الذات الافتراضية تتجاوز في الفضاء الافتراضي المعايير والنظم الاجتماعية للحياة الواقعية، باعتبار أن المستخدم User يتمتع بنوع من الحرية في استخدامه وتعامله مع

التقنية، إضافة إلى قدرته على التحكم في مختلف الميوات التي تقدمها الوسائط الجديدة، وبالتالي يصبح غير مقيّد مثلما هو الحال في الحياة اليومية الواقعية.

- يتخذ الوجود الافتراضي طابعين أساسيين، يتمثل الأول في الطابع المتزامن الذي يستدعي الحضور الآني لأطراف التواصل أي وجود الجمهور المستخدم على الخط Online أين يكون زمن الارسال هو نفسه زمن التلقي ($St=Rt$)¹ ، أما الثاني هو الطابع اللامتزامن أين يتعذر على أحد الأطراف التواجد على الخط مما يؤثر على طبيعة التواصل الذي يصبح غير مباشر بحيث زمن الارسال هما ليس هو نفسه زمن التلقي ($St \neq Rt$)² لتواجد أحد المستخدمين خارج الخط Offline.

- تتخذ لغة التواصل في المجتمع الافتراضي طابعا مميزا يجمع بين الكلمة والرموز، الايقونة، الوجوه، الصورة، الفيديو وغيرها، التي قد يجري التلاعب بترميزها وبناء معانيها سعيا إلى خلق خصوصية وهوية المستخدمين والجماعات الافتراضية وبالتالي بلورة الوجود الرقمي في المجتمع الشبكي. من هنا، تجدر بنا الإشارة إلى التحديات التي تواجهها اللغة في ظل المجتمع الشبكي، وبخاصة أن منطق التواصل الافتراضي من طريق اللغة المكتوبة المعبرة عن الردود الفورية السريعة الممزوجة بالمشاعر والانفعالات تتطلب استخدام مختصرات بحروف لاتينية أو عربية أو المنج بينهما أو أيقونات معبرة عن ذلك، الأمر الذي يؤثر في تركيب اللغة الوطنية أو المحلية ويشوهها، ولا شك في أن مثل هذه الممارسات اللغوية المعتمدة في المجتمع الافتراضي تعكس التحديات التي تواجهها الهوية في المجتمعات العالمية، وتأثير تكنولوجيا المعلومات في نمط الحياة المعاصرة.

- الوجود الافتراضي يمكن أن يتجسد في عدة أشكال مختلفة، باعتبار أنه يمكن للمستخدم أن يمارس مختلف أنواع الاتصال، بما فيه الاتصال الشخصي Interpersonal Communication القائم بين مستخدمين اثنين عن طريق نافذة المحادثة مثلا أو الاتصال الجمعي Group Communication من خلال تشكيل مجموعات افتراضية خاصة بمجموعة من الأفراد المستخدمين الذين يشتركون في شيء معين، وأخيرا الاتصال الجماهيري Mass Communication الخاص بالتنظيمات والمؤسسات التي تسعى إلى الاتصال والتواصل مع مختلف الجماهير.

¹ Sending time = Receiving time

² Sending time $\neq$ Receiving time

فالوجود الافتراضي virtual Presence مرتبط بحضور المستخدم على الخط Online، الذي يحاول عرض هويته المنفردة المتميزة عن المستخدمين الآخرين من خلال مشاركته داخل الفضاء المشبك وتواصله من خلاله، إضافة إلى الآثار التي يخلفها بعد قيامه لمختلف النشاطات وطبيعة استجابته للممارسات التي تتم عبر هذا الفضاء، فارتباط المستخدم بهويته الافتراضية قائم على الممارسات والنشاطات التي يقوم بها أثناء تواجده على الخط لإثبات حضوره وفعاليته.

-تمظهرات الهوية الرقمية في المجتمعات الافتراضية

« The online identity changes due to the fact that it is a visual medium with relatively low levels of truth being described. Virtual identities are the online users published personality, physical description and the ability to improvise on whoever you want to be » (Jacob Van Koksrijk, 2007, p87)

في الوقت الذي يتطرق فيه المصطلح الكلاسيكي للهوية إلى سمات تعريفية ظاهرية، كالإسم وتاريخ الميلاد ومكان الإقامة والتوقيع وبعض الخصائص البيولوجية غير القابلة للتغيير كلون العينين وبصمات الأصابع... إلخ، نجد أن الهوية الرقمية أكثر ديناميكية وإجرائية، فهي تنتج في البداية عن الآثار الرقمية التي نخلفها على شبكة الانترنت كالبيانات الشخصية، ولكنها تتجسد أيضا في أسلوبنا وطريقتنا في تقديم أنفسنا وذواتنا، ففي خضم زخم التفانة الشبكية الرقمية، ومن أجل تحقيق عملية تواصل تفاعلية على نحو رفيع بين مستخدمي الوسائط الجديدة، استدعى ذلك ضرورة تمثلهم رقميا في هويات افتراضية أو رقمية أو شبكية أو هويات على الانترنت، فماذا نعني بهذا النوع من الهويات في المجتمعات الافتراضية؟

تعرف الهوية الافتراضية بأنها مجموع البيانات والمعلومات التي تخص المستخدم بشكل خاص، باعتبارها الشيء الذي يربط الكيان الحقيقي والوجود الافتراضي للفرد.

ويطلق الباحث علي محمد رحومة على الهوية الرقمية مفهوم الخصوصية الغامضة والمعقدة ويصفها بالذات الواهمة والموهومة (رحومة، 2005، ص 304)، ويرجع ذلك إلى ازدياد خصائص الشخصية الالكترونية عددا ونوعا، ومن خلال تفاعلها المتواصل والمركب من أشكال تكنولوجيا متنوعة. تتمثل الهويات الرقمية بشتى تمثلاتها الممكنة في وسط الكتروني جمع بين وسائط الكتابة والصوت والصورة، وتجاوز الزمان والمكان في حركة الفضاء السيبري.

إن هذا الفضاء أتاح للأفراد إطارا واسعا يحوي أطر فرعية كثيرة، فهناك الإطار الذاتي للشخصية، وهناك إطار الجماعة أو المجتمع الافتراضي الذي ينتهي إليه، وكذلك هناك الإطار الثقافي الطبيعي الذي ينتهي إليه الفرد الافتراضي، بالإضافة إلى الإطار الأوسع الكوني الجماهيري الجديد، الذي يمكن للفرد الافتراضي أن يتحرر من خلاله، وينطلق بكل إمكانياته وطاقاته

التمثيلية الرقمية. ولكل هذه الأطر المذكورة سابقا خصائص تحدد هوية ما للفرد الافتراضي (رحومة، 2008، ص 136).

فالهوية الرقمية هي مجموع الصفات والدلالات والرموز التي يوظفها الإنسان للتعريف بنفسه في الفضاء الافتراضي.

«A virtual Identity is a persona that is implied when communicating online. It is a perceived view of who you are when online.» (Jacob Van Kokswijk, 2007, p83)

فيتفاعل ويتواصل على أساسها مع الآخرين؛ بحيث قد لا يتوافق مضمونها مع هويته الحقيقية في الواقع الاجتماعي، وهذا لما توفره الوسائط الجديدة New Media من إمكانيات في التحكم وإدارة وتنشئة الذات الافتراضية Virtual Self للمستخدم من خلال عرض، تبادل وحتى التخلي عن قيم ومعان ودلالات مختلفة، الأمر الذي يجعل الهوية نسبية وغير ثابتة باعتبارها عرضة للعديد من العوامل من العوامل الزمانية والمكانية والتي قد تدعم وتؤكد الهوية الحقيقية أو تعطى شكلاً ودلالات أخرى لا تمثلها.

وهكذا تبقى الهوية الافتراضية رهينة ميولات ورغبات واحتياجات الأفراد المستخدمين التي يمكن تغييرها وتزييفها داخل هذا الفضاء الذي لا تحدّه أي قيود وهذا حسب ما يسعى إليه الفرد، حيث يمكن أن نشير إلى ما جاء به Erving Goffman في كتابه " تقديم الذات في الحياة اليومية" بأن التفاعلات الاجتماعية للأفراد في الحياة اليومية يتوقف على التوقعات الشرطية وذلك حسب الظروف التي يعيشها الفرد باعتبارها قد تؤثر على تواصله مع الآخرين، فهو يذهب في الأخير إلى القول بأن التفاعلات الاجتماعية وتواصل الأفراد مع الآخرين ما هو إلا أداء أو تمثيل وتنفيذ لدور معين (Goffman, 1956, p10). كما يقول الباحث الصادق رايح في هذا الصدد أن الفرد المستخدم يسعى إلى التلاعب في هويته بهدف دفع مجاوريه والمتفاعلين معه إلى التعامل معه على أساس أن هذه الهوية المتهيلة والتي يطلق عليها ب الهوية الفنتازمية هي هويته الفعلية، سعيا إلى تقمص أشكال مختلفة للذوات والهويات ومعاينو ما يمكن أن يحصل عند ذلك، فهي بالتالي حسب رأيه هوية فنتازمية تسعى عي هويته الفعلية، سعيا إلى تقمص أشكال مختلفة للذوات والهويات ومعاينو ما يمكن أن يحصل عند ذلك، فهي بالتالي حسب رأيه هوية فنتازمية تسعى إلى القفز على محرمات الهوية الاجتماعية الواقعية (الصادق، 2007، ص 266).

ومن هذا المنظور، تعطي البيئات الافتراضية فرصا كبيرة للمستخدمين لعرض ذواتهم وتجسيد تمثلاتهم بالطريقة التي يرغبونها ويحدودونها، وبالتالي تفتح المجال لتشكيل تجارب هويات جديدة، وذلك سينتج ما يسمى بالبناء الاجتماعي للهوية في الفضاء الإلكتروني عن طريق التفاعلات الافتراضية للمستخدمين، وهذا ما يؤكد الباحثان Ligorio Talamo في دراستهما الموسومة بـ

« Identity in the Cyberspace: The Social Construction of Identity Through On-Line Virtual Interactions حيث يقولان :

« Virtual environments open the door to new identity experiences. Entering in a virtual world where the real characteristics (both physical and personal) are not directly evident to others is, from a psychosocial point of view, a way of communicating which implies new ways of being, of showing and negotiating identities at stake. Having the possibility to enter in a new community, where any personal information is directly shown to others, is a possibility to experiencing different self and thus to show and build new identities. » (Ligorio & Talamo, 2000, p 5).

وفي دراسة للباحثة الفرنسية Fanny George الموسومة بـ « L'Identité Numérique sous Emprise Culturelle : De l'Expression à sa Standardisation » (Fanny, 2011, 31-48)، والتي تمحورت حول البحث في خصائص الهوية الرقمية في ظل استخدام مواقع شبكات التواصل الاجتماعي، توصلت إلى أن تقديم الذات في مثل هذا الفضاء ما هو إلا جزءاً من هوية المستخدم الافتراضية والتي تتكون من خلال الرموز المكتسبة لدى الفرد إضافة إلى الرموز أو الخدمات التي توفرها هذه الوسائط الاتصالية القابلة للملاحظة مثل الصور، الفيديو، المنشورات، التعليقات وغيرها والتي تكون عرضة للعديد من المؤشرات الثقافية، وقد قسمت الباحثة الهوية الافتراضية إلى ثلاث أنواع رئيسية هي كالتالي:

• الهوية المصروفة / Declarative Identity / L'identité Déclarative

وهي البيانات التي تم إدخالها من طرف المستخدم أثناء اجراء عملية التسجيل مثل: الاسم، الصورة، الاهتمامات والميولات...إلخ.

• الهوية النشطة / Acting Identity / L'identité Agissante

وهي البيانات والرسائل المدرجة من قبل نظام الوسيط والمتعلقة بنشاط المستخدم مثل: x و y أصبحا صديقين، x انضم إلى مجموعة معينة، y مهتم بنشاط معين...إلخ.

• الهوية المحسوبة / Calculated Identity / L'identité Calculée

والمتمثلة في الجانب العددي أو الكمي لحساب المستخدم مثل: عدد الأصدقاء، عدد المجموعات المنضم إليها، عدد الاعجابات، عدد التعاليق...إلخ.

وفي نفس السياق نشر إلى دراسة José van Dijk بعنوان « Performing the self on Facebook and LinkedIn »، التي بحثت في طرق التعبير عن الهوية باستخدام الوسائط الجديدة وبالتحديد موقع Facebook و LinkedIn، حيث قامت بدراسة مقارنة بين حسابات وصفحات الموقعين وتوصلت إلى فكرة أن موقع Facebook يسهل طريقة تقديم وعرض الذات سعياً إلى تسهيل عملية

التواصل والتفاعل مع الآخرين، بينما موقع LinkedIn تكون عملية عرض الهوية فيه لأغراض مهنية أكثر منها تواصلية، بالتالي نجد أن الموقع الأول هو الأكثر شيوعا وانشارا خاصة في أوساط الشباب الذين يعانون من قلق كبير حول البيانات الشخصية الخاصة بهم والمعرضة على حساباتهم، باعتبار أنهم يعتمدون بشكل واضح على المحتويات الترويجية للذات عبر هذا الموقع وهذا تعويضا للنقص الذي يعانون منه من حيث تقديم أنفسهم في الحياة اليومية الواقعية (Van Djick, 2013, pp 199-215).

نضيف في الأخير دراسة Bouvier Gwen بعنوان "How Facebook users select identity categories for self presentation" والتي ركزت على مسألة الهوية في الفيسبوك، حيث تناولت في السياق النظري عمليات التغيير التي طرأت على الهوية الشخصية من خلال ما تم وصفه بالعمولة وصعود المجتمع إلى نمط الحياة الاستهلاكية، واستندت هذه الدراسة على تحليل الإجابات من الاستبيان والمقابلات مع 100 طالب من تخصص وسائل الإعلام والاتصال في جامعة Glamorgan وذلك بعد تصميم مجموعة من البيانات لتحديد أنواع التصنيفات الذاتية التي تم استخدامها من طرف الطلبة على حساباتهم عبر هذا موقع، ومن خلال تحليل البيانات توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها هناك مستخدمين يعتمدون في تشكيل هوياتهم على النموذج البيولوجي للهوية الوطنية، في حين يركز البعض الآخر على الانتماء إلى الأرض، والبعض الآخر على أنشطة ثقافية ووطنية معينة، كما أن أبرز تمثل في هذه العينة كان باستخدام فئات الهوية القومية والتصنيف العرقي البيولوجي، بحيث هذه الأنواع من التمثيلات هي التي قد عبر عنها المبحوثين في حساباتهم أو صفحاتهم على موقع Facebook لكن فتحت هذه الدراسة أفقا أخرى في مجال دراسة الهويات حيث تم طرح تساؤلات عدة تمثلت في ما هي أنواع الهويات الافتراضية الممارسة في موقع Facebook؟ وما هي الآثار التي تخلفها مستقبلا؟ (Bouvier, 2012, pp 37-57).

من خلال ما سبق، يمكن القول بأن الهوية الافتراضية Virtual Identity هي انعكاسا للبيانات الشخصية التي يصرح بها المستخدم إضافة إلى الممارسات والنشاطات التي يقوم بها داخل الفضاء المشبك، والتي قد تعكس ما يميزه عن الآخرين من ميولات واهتمامات ومواقف تكون عي المحددات الأساسية التي يستعين بها لتقديم ذاته وشخصيته، والتعامل وفقها مع المستخدمين الآخرين، وهذا ما يؤكد الباحث رحومة في قوله: "غالبا ما يتمثل الأشخاص الرقمييون بما يرغبون أن يتمثلوا به، أي يتظاهرون بالأشياء التي يحبونها في الحديث وفي التعريف بأنفسهم وبآرائهم وأفكارهم وغير ذلك، وليس شرطا أن يكونوا كما هم في واقع الأمر، لكن هذا لا ينفي أن كثيرا منهم يحاول أن يكون صادقا في كل ذلك، ولكن الأمر المشترك في معظم الممثلين افتراضيا، هو تمثيلهم بما يريدون من الآخرين أن يروهم به..." (رحومة، 2008، ص 142).

خاتمة

إن أحد التحديات التي تواجهها العلوم الإنسانية والاجتماعية اليوم هو تحدي الرقمنة والكونية Globalisation بكل ما تحمله من تغييرات، فالواقع الذي نعيشه اليوم مع انتشار استخدام الوسائط الاتصالية الجديدة يفرض علينا كباحثين إعادة التفكير في المفاهيم الحديثة السائدة مع العمل على تطوير المناهج والأدوات الملائمة لهذا النسيج المجتمعي المتغير.

إن هامش الحرية الذي توفره الوسائط الجديدة ولد شكلا آخر للهوية التي تعبّر عن مجموعة من الخصائص والسمات التي تميّز شخصيات الأفراد باعتبارها تضيف للمستخدمين خصوصية وذاتية، أو بالأحرى الصورة التي تعكس ثقافة المستخدم ولغته وتاريخه وحتى مستواه المعرفي، بحيث يمكننا القول بأن الهوية الافتراضية (الالكترونية) هي مجموعة من الصفات، الرموز والبيانات التي يستخدمها الأفراد لتقديم ذواتهم للآخرين داخل المجتمعات الافتراضية ويتفاعلون معهم من خلالها. بالتالي يمكن القول بأن مظهرات الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي هي انعكاساً مباشراً لتمثيلات الذات الفاعلة (المستخدم)، التي قد تكون مزيفة/كاذبة تعبّر عن آراء واتجاهات وميولات وتطلعات لا تمت بصلة إلى الواقع، لكنها في الوقت ذاته، قد تعكس بعض الجوانب التي لها وجود في الحياة الواقعية للفرد، لهذا قد يبرر تشكيل هوية حقيقية أو مزيفة في الفضاء الافتراضي محاولة للتخلص من القيود الاجتماعية التي يفرضها الواقع الفعلي، كما أننا لا يمكن أن نستبعد فكرة أن هذه الذوات تمثل تطلع الفرد "الأنا" إلى أن يكون شخصا آخر غير هذه الذات المشبعة في رغباتها وحاجاتها وأدوارها الاجتماعية.

المراجع

1. Andrey Turcotte-Choquette & Parmier Marie-Agnès. (2011). "Le Web 2.0 mieux le comprendre pour mieux l'utiliser", Cahier de recherche N11-02.
2. Bloom William, E.. (1991). "Identity/Difference: Democratic Negotiations of Political Paradox". Ithaca. N.Y: Cornell University Press.
3. Chambat Pierre. (1994). "Usage des Technologies de l'information et de la communication (TIC) : Evolution des Problématiques", Technologies de l'information et Société, vol 6, N°3, pp 249-270.
4. Danah M. Boyd, Nicole B. Ellison. (2007). "Social Network Sites: Definition, History, and Scholarship", Journal of Computer-Mediated Communication, Vol. 13, Issue 1, p210-230.
5. Deng Francis. M. (1995). "war of visions: Conflict of Identities in the Sudan". washington: DC: Brookings.
6. Fanny George. (2011). "L'identité Numerique sous emprise Culturelle: De l'expression à sa standardisation". Les Cahiers du numérique. Vol. 7. Pp 31-48

7. Goffman Erving. (1956). "The presentation of self in everyday life". Monograph No. 2. Social Sciences Research Centre. University of Edinburgh.
8. Gwen Bouvier, "How Facebook users select identity categories for self presentation", Journal of Multicultural Discourses, 2012, 7:1, 37-57
9. Hogg Michael & Dominic Abrams. (1988). "Social Identification: A Social Psychology of Intergroup Relations and Group Processes". Rutledge. London.
10. Jouet Josiane. (2000). Retour "Critique sur la Sociologie des Usages". Réseaux, Issy- Les-Moulineaux. N°100. « Communiquer à l'ère des réseaux ». pp 487-521.
11. Krich Madeleine. (1990). "De la Sociologie des techniques à la sociologie des usages. L'impossible intégration du magnétoscope dans les réseaux câblés de première génération". Technique et Culture. N° 16. Pp 83-110.
12. Petter, K. (1996). "The Culture Of National Security: Norms and Identity in World Politics." New York: Columbia University Press.
13. Stuart, H. (1989). "Is Identity a Useful Cross-Cultural Concept?" In Commemoration The Politics of National Identity". Prenceton: NJ: Prenceton University Press.
14. Van Dijck José, "You have one identity" performing the self on Facebook and LinkedIn", Media, Culture & Society 35(2) 199 –215,
15. Van koksrijk Jacob. (2007). "Digital Ego : Social and Legal Aspects of Virtual Identity." Eburon Delft NL. United Kingdom.

16. الجرجاني، أبو الحسن، التعريفات. بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.

17. الرزق حسن مظفر، (2007). الفضاء المعلوماتي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، لبنان.

18. الصادق راجح. (2007). الانترنت كفضاء مستحدث لتشكيل الذات. المجلة المصرية لبحوث الرأي العام. المجلد 08، العدد 02.

19. على محمد رحومة. (2005). الانترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، بحث تحليلي في الآلية النفسية للانترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية، سلسلة أطروحات الدكتوراه. مركز دراسات الوحدة العربية،. الطبعة الأولى.

20. على محمد رحومة، (2008) علم الاجتماع الآلي - مقارنة في علم الاجتماع العربي والاتصال عبر الحاسوب، عالم المعرفة، العدد 347 ، الكويت.

21. علي كنعان. (2015). الإعلام الإلكتروني، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

22. عمارة محمد. (1999). مخاطر العولمة على الهوية الثقافية . الطبعة الأولى. مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

23. منصور نديم، (2014). سوسيولوجيا الانترنت. سلسلة اجتماعيات عربية. منتدى المعارف، لبنان.